



التأثير الوالدي وأثره في التنشئة الاجتماعية

دراسات وأبحاث

ذ. إبراهيم والعيز¹

مقدمة:

أجمع كل المهتمين بقضية التنشئة الاجتماعية للفرد على أهمية الدور الذي يقوم به التأطير الوالدي في حياة الناشئة عموماً، وفي حياة الأطفال خصوصاً، باعتبار الوالدين منبعاً أساسياً للتكوين الاجتماعي للفرد؛ فبتأطيرهما يتحدد سلوك الطفل منذ ولادته وحتى بلوغه سن الرشد، وهكذا فكلما وُجد تأطير والدي جيد؛ وجد معه شخص متوازن من الناحيتين النفسية والاجتماعية، وكلما كان التأطير الوالدي مشوباً بالخلل والنقص تولد بسبب ذلك خلل نفسي أو اجتماعي لدى الفرد.

ومعنى هذا، فإن الوالدين يؤثران تأثيراً مهماً في الطفل، فهما من يغرس فيه أساليب السلوك الاجتماعي من عادات وأخلاق وطريقة معاملة الغير، وكل ذلك يتحقق بسبب تقليد الطفل لجميع ما يقوم به والداه، لاعتقاده أنهما النموذج الفريد الذي يستحق الاقتداء، وعلى هذا الأساس فلا بد من مراعاة خطورة هذا التأثير من أجل الحرص على التأطير الوالدي الإيجابي، لنقل المبادئ الحسنة والأنماط السلوكية الفاضلة -التي تخدم الفرد والمجتمع- إلى الناشئة؛ ذلك فإن نقل هذه الفضائل ثمرة من ثمرات التأطير الوالدي، وهي عملية تقوم أساساً على التفاعل الإيجابي بين الطفل ووالديه من خلال اعتماد جملة من الأساليب التربوية التي تحقق التنشئة الاجتماعية المتوازنة.

وقد كان الباعث على الاشتغال على هذا الموضوع: إظهار مكانة التأطير الوالدي في التنشئة الاجتماعية السوية التي بها يتحقق مقصد الإسلام من تشريع الزواج وإنشاء أسرة مستقرة و متماسكة، ومنه إبراز الدور الأساسي للتأطير الوالدي في تحقيق التنشئة، والأساليب التربوية المؤثرة في ذلك.

أولاً: تحديد المفاهيم:

يفرض علينا المنهج أن نحدد دلالة ما نقصد بالتأطير الوالدي، والتنشئة الاجتماعية.

1- التأطير الوالدي: إن دلالة هذا المركب تعود بصفة عامة إلى معنى: "تدريب الوالدين على

مهنة الأبوة والأمومة بالأساليب الصالحة حتى يتسنى لهما أن يضيفا لروح العطف الطبيعي ما يمكنهما من

¹ . باحث في الدراسات الإسلامية-المغرب

القيام بواجبهما نحو أعز مخلوق عليهما"².

والأبوة والأمومة بهذا المعنى الوارد عند مؤلف كتاب "النقد الذاتي" مهنة لا تعرف بمجرد الفطرة، ولكنها تدرس كما تدرس المهن الأخرى، وذلك بـ"توجيه برامج منظمة عن طريق مؤسسات تربوية تتبع أساليب التربية المستمرة بحيث يتم خلالها إكسابهم -الآباء- معلومات ومهارات واتجاهات عن أفضل أساليب التعامل مع أبنائهم وأفضل أساليب مساعدتهم على التحصيل الدراسي الجيد قبل الالتحاق بالمدرسة وبعد الالتحاق بها وأثناء العطل الصيفية والإجازات المعتادة"³.

2- التنشئة الاجتماعية؛ أقر في البداية أنه لا يوجد تعريف جامع مانع لهذا المصطلح، لأن التنشئة الاجتماعية هي من عمليات العلوم الاجتماعية التي تندمج بالنسبية والتغير عبر الزمان والمكان، لأنها عملية تتعلق بالإنسان في سياقه الاجتماعي، ولذلك تعددت التعريفات حول مفهوم التنشئة الاجتماعية. واختصاراً فإن معنى هذه العملية يعود إلى: "أنها عملية تعليم وتعلم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد (طفلاً فمراهقاً فراهقاً) سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة، لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية"⁴.

والمسؤول الأول عن التنشئة الاجتماعية في المنظور الإسلامي المستمد من هدي الذكر الحكيم هما الأبوان، باعتبارهما أصل الأسرة التي هي أول مؤسسة اجتماعية يفتح عليها الإنسان، قبل أن تتدخل مؤسسات أخرى لتساهم بنصيبها في هذه العملية، وعلى هذا يدل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁵. قال سماحة الشيخ محمد المكي الناصري رحمه الله مفسراً للآية الكريمة: "ووقاية النفس تكون بالسلوك الحسن الذي يقيمها من الزلات والعثرات، ووقاية الأهل تكون بحسن توجيههم وتقويم اعوجاجهم، ووقاية الأولاد تكون بحسن تربيتهم، والعمل المتواصل على إعدادهم للحياة الصالحة دينا ودنيا منذ الطفولة الأولى"⁶.

ومن أجل أن ينجح الوالدان في التنشئة الاجتماعية السوية للأبناء، لمساعدتهم على الاندماج السلس في مجتمعهم، بتكليفهم مع عقيدته وقيمه الأخلاقية وثقافته، لا بد من الاعتماد على جملة من

²- الفاسي علال: النقد الذاتي. ط/ 8. 1429 هـ/ 2008 م. مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء. ص/ 272.

³- أبو يونس محمد: تربية الأمهات والآباء ضرورة لنجاح تربية الأبناء. جريدة التجديد. العدد/ 24. ربيع الأول 1420 هـ/ يوليو 1999 م. ص/ 10.

- الميسوم بكّة: صورة الذات لدى الفتاة في العائلة في ضوء بعض المتغيرات-نوع العائلة، المستوى التعليمي للوالدين-دراسة ميدانية؛⁴ رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الأسري-كلية العلوم الاجتماعية-جامعة وهران، للسنة الجامعية؛ 2015-2016. ص/ 38.

⁵- التخرم/ 6.

⁶- الناصري محمد المكي: التيسير في أحاديث التفسير. ط/ 1. 1405 هـ/ 1985 م. دار الغرب الإسلامي-بيروت. ج/ 6. ص/ 265.

الأساليب التي تحقق هذه الغاية، وهذه الأساليب تعد وفق المنظور الإسلامي وسائل قوية ومؤثرة في التنشئة الاجتماعية، كما سنرى في المبحث الثالث من مباحث هذه الدراسة.

ثانياً: دور التأطير الوالدي في تحقيق التنشئة الاجتماعية.

1- في الحاجة إلى التأطير الوالدي.

إن الحاجة إلى التأطير الوالدي للفرد تظهر في كونه يعتبر الحضن الاجتماعي الذي تتكون فيه وتنمو بذور شخصيته الإنسانية، ويتحقق له نضجه النفسي، ويوفر له أجواء الهدوء والاستقرار والسكن بالتعبير القرآني⁷، وتوضع فيه أصول التطبيع الاجتماعي، وتتحدد فيه بحق الطبيعة الإنسانية للإنسان.

ثم إن الطفولة كما يعلم الجميع هي مهد الانطباعات الجميلة أو القبيحة، ولذلك فإن للوالدين أثراً لا ينكر في تربية الذوق الجميل في نفوس الأبناء، "وإذا أخذ الوالدان أبناءهما على العمل تدريجياً فإنهما يستطيعان أن يكونا في رجال الغد حب الاجتهاد والعمل، والابتعاد عن الخمول والكسل. وإن ما نحن اليوم عليه من كسل عام في أوساطنا وقلة مقدرة على العمل المنظم لمن آثار التقصير الواقع في البيت. ويدخل في هذا المعنى أيضاً تربية الشعور بالواجب عن طريق التوقيت في الحياة البيئية؛ فالطفل الذي ينشأ في بيت يقدر أعضاؤه قيمة الوقت ويرتبون أعمالهم فيه بنظام دائم ينشأ محباً للنظام مقدراً لقيمة الوقت"⁸.

وكل هذا يدل على أن الوالدين هما من يؤثر في التنشئة الاجتماعية للفرد، باعتبارهما النموذج الأمثل للجماعة الأولية "الأسرة" التي يتفاعل الفرد مع أعضائها وجهاً لوجه، ويتوحد معهم، ويعتبر سلوكهم سلوكاً نموذجياً، يتبعه ويقتدي به، وقد ورد ما يدل على ذلك في السنة المطهرة، حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه»⁹. والفطرة تعني "الاستعداد للحضارة، والقدرة على اكتساب المعرفة، والمرونة على الطاعة"¹⁰، فدل الحديث -تبعاً لذلك- على دور الوالدين في تشكيل مواقف الفرد منذ مراحل الأولى من حياته، ذلك فإن كثيراً من الصواب أو الخطأ الذي يعتقده الفرد بصفة مسلمة إنما تلقاه من والديه، وعليهما تقع مهمة خطيرة، وهي تربية المثل الدينية والأخلاقية في نفوس الناشئة، وإن أي تقصير من الوالدين في هذا المجال لا يؤدي إلا إلى الإضرار بمستقبل الإنسان والأوطان.

2- أثر التأطير الوالدي في واقع حياة الإنسان.

إن التأطير الوالدي الناجح له آثار إيجابية لا تنكر على مستوى التنشئة الاجتماعية السليمة للفرد، ومن تلك الآثار:

⁷ - وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾. الأعراف/ 189.

⁸ - الفاسي علال: النقد الذاتي. ص/ 265-266.

⁹ - مالك بن أنس: الموطأ. تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف. كتاب الجنائز-باب جامع الجنائز. رقم؛ 646. ط/ 2. 1417هـ/ 1997م.

دار الغرب الإسلامي-بيروت. ج/ 1. ص/ 329.

¹⁰ - الفاسي علال: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. مكتبة الوحدة العربية-الدار البيضاء. دون الطبعة والتاريخ. ص/ 66.

توفير الجو الاجتماعي السليم الصالح واللازم لعملية التنشئة الاجتماعية، فينشأ الطفل منذ ولادته بفضل ذلك الجو الاجتماعي في أسرة مكتملة، تضم الأب والأم والإخوة وغيرهم، حيث يؤدي كل منهم وظيفة في حياة الطفل.

تحقيق النضج النفسي والاجتماعي، وذلك من خلال تعزيز وتنمية الشعور بالأمن والحب والقبول، وهذا ما يظهر أهمية التأطير الوالدي في تحديد المعالم الأولى من شخصية الطفل، وخاصة في السنوات الأولى من حياته، "وقد تبين أن الأطفال الذين يلحقون بالمؤسسات الإيوائية مع توفر الرعاية المادية الكاملة وإشباع حاجاتهم الجسمية لا ينجحون في حياتهم ما لم تتوفر الحاجات النفسية والاجتماعية التي تحدد في المواقف الطبيعية اتجاهات الأم نحو صغارها"¹¹.

تشكيل ذوات الأفراد، ذلك فإن الأفراد لا يولدون بذواتهم كاملة، بل إنهم يولدون فقط بذلك الجزء البيولوجي من الذات، والذي يساهم التأطير الوالدي أيضا في تنميته من خلال الحماية والرعاية الجسمية، أما المستويان الآخران للذات؛ "النفسي؛ المرتبط بنمط الشخصية، والاجتماعي؛ المرتبط بالأدوار وبالعلاقة الذات بمجتمعها"، فإنهما يشكلان في الأسرة نتيجة التأطير الوالدي الناجح.

مساعدة الفرد على اكتساب اللغة التي يتكلم بها¹²، والعادات والمعاني المرتبطة بأساليب إشباع رغباته وحاجاته، والتواصل مع غيره لإثبات ذاته، وبناء علاقاته أسريا واجتماعيا، فبفضل التأطير الوالدي يتعلم الفرد منذ المراحل الأولى من حياته كيف يأكل ويشرب، ويقضي حاجته، وينام، ويرتدي ملابسه، ويحب أفراد أسرته، ويلهو ويحزن ويتعاطف مع غيره، وذلك وفق آداب سلوكية معينة، مستمدة من مرجعية الوالدين ودينهما وثقافتهما.

تزويد الفرد بالرصيد الأول من أساليب السلوك الاجتماعي، وهو كالضوء الذي يرشده في تصرفاته وفي مختلف ظروف حياته، ففي ظل التأطير الوالدي يتلقى الطفل أول درس في الصواب والخطأ، والحسن والقبح، وما يجوز وما لا يجوز، وما يجب أن يفعله وما يجب عليه أن يتجنبه، والسبب في تجنبه، وكيفية كسب رضا الجماعة، وكيفية تجنب عدم القبول، والاستحسان الاجتماعي، فالوالدان هما اللذان يمنحان الطفل أوضاعه الاجتماعية، ويحددان له نوع الطعام ومواعيد الطعام، ونوع الملابس ومناسبتها، ونوع التعليم، والمذهب الديني الذي يعتنقه، والميولات السياسية التي يتبعها، بل إنهما يحددان له أنواع النشاط وأساليب قضاء وقت الفراغ، وبهذا تقوم الأسرة بدور رئيسي في إمداد الأبناء برصيد زاهر من السلوك والعادات والقيم الاجتماعية، مما تؤثر في حياتهم حاليا ومستقبلا، من مرحلة عمرية لأخرى، ومن دور حياتي إلى آخر.

¹¹ - حسن محمود: الأسرة ومشكلاتها. طبعة؛ 1984م. دار النهضة العربية- بيروت. ص/ 7.

¹² - الفاسي علال: النقد الذاتي. ص/ 265.

وعليه، فإن الأثر الإيجابي للتأطير الوالدي لا يمكنه أن يتحقق إلا بالاعتماد على جملة من الأساليب التربوية التي تعتبر في التصور الإسلامي أساليب فعالة في التنشئة الاجتماعية السليمة. فماذا عن ذلك؟

ثالثاً: الأساليب التربوية المؤثرة في التنشئة الاجتماعية.

من أهم الأساليب التي سنتناولها، أسلوب القدوة، وأسلوب القصة، وأسلوب التلقين، وأسلوب الثواب، وأسلوب العقاب.

1- أسلوب القدوة: يعتبر هذا الأسلوب في التصور الإسلامي أهم الأساليب وأقواها تأثيراً في نفس الإنسان وتطبيعها على اكتساب قيم الإسلام ومبادئه بطريقة غير مقصودة، لأن الإنسان بعد تجاوزه لفترة الرضاع تبدأ الوظائف العقلية لديه في النمو، فيصبح شديد الانتباه لما يدور حوله من مظاهر السلوك المختلفة السائدة في محيطه الاجتماعي، ولعله لهذا السبب وضع القرآن الكريم لعملية الإصلاح شرطاً أساسياً، وهو أن يبدأ المصلح المسؤول عن أهله بإصلاح نفسه حتى يكون قدوة لمن سيصلحه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾¹³. وهكذا يتضح من الآية أن المصلح لأهله إذا قام ليصلحهم، وجد قوله يطابق فعله، فإذا أمر بشيء ألزم به نفسه قبل غيره، وإذا نهى عن شيء كان السباق إلى اجتنابه.

إن الوالد الذي يريد أن ينشئ أولاده تنشئة صالحة تجنبهم نار جهنم يوم القيامة، لا بد أن يبدأ بإصلاح حال نفسه أولاً، لأن المنحرف لا يمكن أن يؤثر في غيره تأثيراً إيجابياً، نظراً لعدم مطابقة سلوكه لقوله، وقد دعا الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن يأمر أهله بالصلاة، مع محافظته هو عليها، فقال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾¹⁴، وفي هذا الأمر الإلهي تأكيد على أهمية القدوة في تغيير السلوك والقيام بالإصلاح وتحقيق التنشئة الاجتماعية الصالحة والسوية، عن طريق عرض الأنماط السلوكية الحسنة أمام الأطفال والشباب، ذلك فإننا نعلم أن تلقين هؤلاء أصول مكارم الأخلاق ومبادئها في مختلف المؤسسات لا يجدي نفعاً، ما لم يكن مصحوباً بالتطبيق العملي، فيرون في من يلقتهم هذه المبادئ القدوة الحسنة والنموذج السلوكي الأمثل.

ومن هنا وجدنا دين الإسلام يذم النماذج البشرية التي تقول ولا تفعل أو يخالف قولها فعلها، كما قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾¹⁵، وقال كذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾¹⁶، وفي نفس السياق حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من مخالفة القول للفعل، كما فعل مع الأم التي نادى على ابنها

¹³ - التحريم/ 6.

¹⁴ - طه/ 131.

¹⁵ - البقرة/ 43.

¹⁶ - الصف/ 3-2.

لتعطيها تمرًا فقال لها: «أما إنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة»¹⁷، وفي هذا الحديث حث لهذه المرأة على الصدق لتكون قدوة لا بنها، ليتعلم منها عملياً حتى ولو لم تلقه شفويًا، ذلك فإن الطفل "قد يغفر للآخرين أن يكذبوا ويخدعوا ويسرقوا ويغشوا ويخونوا... أو لا يتأثر به كثيراً، أو لا يتأثر به على الإطلاق.. إذا كان يأوي إلى ركن ركين من القيم والمبادئ متمثلة في أبويه. وخاصة حين يبين له أبواه بالقدر الكافي من الإبانة والتوضيح أن تلك نماذج سيئة لا ينبغي له أن يحاكيها، مستندين إلى النموذج الطيب الذي يقدمانه هما لطفهما، ولكنه لا يغفر لأبويه أبداً شيئاً من ذلك، ولا يمكن أن يمر شيء منه بغير تأثير عميق في نفسه، قد يبقى بقية العمر كله لا يتغير"¹⁸.

2- أسلوب القصة: القصة أسلوب شرعي ومنهج إسلامي للتربية الحسنة والتنشئة الاجتماعية الحقيقية للطفل، وتتمثل وظيفة هذا الأسلوب وأهميته في إثارة وجدان الطفل وتشويقه وتوسيع خياله، وتغيير اتجاهاته ومواقفه وزرع أنماط سلوكية سوية في نفسه.

وهذا الأسلوب التربوي له حضور متميز في القرآن الكريم الذي استعمل القصة بكل أنواعها استعمالاً واسعاً، فقد استخدم "كل أنواع القصة: القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها. والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج. والقصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أي لحظة من اللحظات، وفي أي عصر من العصور"¹⁹.

والغرض من استخدام القصة في القرآن الكريم هو التقويم والتهذيب والتوجيه والتحذير، من خلال ما تعرضه من نماذج للمؤمنين والصالحين، أو نماذج للفاسقين والفاسدين من الطغاة والظالمين، وذلك بشكل يحرك المشاعر ويوقظ القلوب، وينقل العقل من حالة الغفلة والسهو إلى حالة التيقظ والانتباه والاعتبار.

وبناء على ما سبق يكون أسلوب القصة من الأساليب الإسلامية الفعالة في التنشئة الاجتماعية، وذلك بالنظر إلى ما تضمنه من آداب وأخلاق سواء على مستوى الفكر أو على مستوى السلوك.

3- أسلوب التلقين؛ وهذا الأسلوب به يمكن للطفل أن يسير في الطريق الصحيح، وذلك لما يلقيه والداه ما يجوز له فعله ببيان ما فيه نفع له ولمجتمعه، وما لا يجوز له فعله لأنه مضر له ولمجتمعه كذلك. وأسلوب التلقين لا بد له أن يكون مؤسساً على منهج منظم يسير عليه، حتى يؤتي أكله في التنشئة الاجتماعية ويحقق التربية السليمة، "فليس أي كلام يصلح تلقيناً، وليس كل طريقة صالحة للتلقين"²⁰.

¹⁷ - السجستاني أبو داود سليمان بن الأشعث: السنن. حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه؛ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني. اعتنى به؛ أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان. كتاب الأدب-باب التشديد في الكذب. رقم؛ 4991. ط/ 2. دون تاريخ. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض. ص/ 902.

¹⁸ - قطب محمد: منهج التربية الإسلامية. ط/ 14. 1414هـ/ 1993م. دار الشروق-بيروت. ج/ 2. ص/ 118-119.

¹⁹ - قطب محمد: منهج التربية الإسلامية. ج/ 1. ص/ 193.

²⁰ - قطب محمد: منهج التربية الإسلامية. ج/ 2. ص/ 129.

ومن عوامل نجاح هذا الأسلوب في التنشئة الاجتماعية:

أ- الانسجام التام والتوافق المطلق بين الوالدين في مادة التلقين، حيث يجب عليهما أن يتجنبنا الاختلاف في ما يلقنانه لطفلهما، حتى لا يحس بالتضارب فيما يلقن له، فمثلاً إذا تعلق الأمر بالآداب الأخلاقية، فكان ما لقنته الأم لطفلها أن يحترم الجيران، فإن الأب لا يجوز له أن ينقض هذا الخلق فيلقن لابنه ما يضاده، حتى لا يحس الطفل بالتناقض في المواقف فتفسد تنشئته.

ب- اختيار الوقت والظرف المناسب للتلقين، لئلا يكون السبب الدافع للوالدين إلى التلقين هو فقط الرغبة في إصدار الأوامر، ولكن يلزم أن يكون الدافع هو تحقيق التنشئة السوية للطفل، وذلك يكون باختيار الظرف الملائم للتلقين اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي "أتاه رجل بطبق عليه تمر فقال له: «ما هذا أصدقة أم هدية؟» قال الرجل: صدقة، قال: «فقدمها إلى القوم». قال: وحسن بين يديه يتعفر²¹، قال: فأخذ الصبي تمرًا فجعلها في فيه، قال: ففطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدخل إصبعه في في الصبي، فانزع التمرة ثم قذفه بها، وقال: «إنا آل محمد لا نأكل الصدقة»²².

ج- التزام الرفق واللين في التلقين واللذين يجعلان الطفل يقبل عليه، وأسوة الوالدين في هذا الأمر أسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم في توجيهه للأطفال المبني على الرفق واللين، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قصة ربيب الرسول صلى الله عليه وسلم عمر بن أبي سلمة الذي طاشت يده في القصعة، فقال له زوج أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»²³، وبهذا يتضح أنه لا يوجد أحسن من أن يتم التلقين بالرفق واللين في بعد تام عن الغلظة والقسوة، "وإلا ضاع الأثر المطلوب أو انقلب إلى الضد حين يعطي المربي ما عنده بطريقة منفرة ... نعم ينبغي أن يكون التقديم في صورة ترغب المتلقي في أن يتلقى، لا في صورة تنفره من التلقي"²⁴.

4- أسلوب الثواب؛ يعد هذا الأسلوب من الناحية النفسية حافزاً يؤدي إلى المواظبة على الفعل الحسن واجتناب الفعل القبيح، وله في التصور الإسلامي أشكال وألوان، أذكر منها:

أ- ما قد يتسلمه الطفل من هدايا مادية من والديه حين قيامه بعمل إيجابي مكافأة له على ذلك، وفي السنة النبوية؛ "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف عبد الله، وعبيد الله، وكثيراً، بني العباس، ثم يقول: «من سبق إلي فله كذا وكذا»، فيستبقون إليه،

²¹ أي يتمرغ في التراب. وعفره -بفتح الفاء- في التراب وتعفر -بتشديد الفاء-؛ مرغه فيه، أو دسه وضرب به الأرض. الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. تحقيق؛ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي. ط/ 8. 1426هـ/ 2005م. مؤسسة الرسالة-بيروت. ص/ 442.

²² الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير. تحقيق؛ حمدي عبد المجيد السلفي. رقم؛ 4632. طبعة؛ 2. دون تاريخ. مكتبة ابن تيمية-القاهرة. ج/ 5. ص/ 76-77.

²³ البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الصحيح. كتاب الأطعمة-باب التسمية على الطعام، والأكل باليمين. رقم؛ 5376. ط/ 1. 1423هـ/ 2002م. دار ابن كثير-دمشق-بيروت. ص/ 1370.

²⁴ قطب محمد: منهج التربية الإسلامية. ج/ 2. ص/ 45.

فيقفون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلزمهم²⁵.

ب- ما قد يلمسه الطفل من قبول أو استحسان أو استحباب، أو إظهار للرضى من قبل والديه على فعل حسن قام به، وهذا ثواب معنوي، وفي السنة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم كافأ الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه بالكلمة الطيبة على قوله الشعر مدافعا عن الإسلام والمسلمين، فقال له: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس»²⁶.

وهذا يتنوع الثواب في باب التنشئة الاجتماعية في المنهج الإسلامي إلى ثواب مادي وثواب معنوي، وقد قدم بعض المفكرين المعاصرين الذين اشتغلوا بهذا الموضوع أمثلة على الثوابين معا، فقال: "والتشجيع قد يكون بابتسامة، أو بقبلة حانية من الأم أو الأب ... أو بلعبة تعطى له كمكافأة على الجهد الذي بذله، أو بشيء من الحلوى أو الطعام .. أو بأي شيء مما يعرف الوالدان من دراستهما لطفلهما أنه محبب إليه ومن ثم فهو مشجع له"²⁷.

والملاحظ على الثواب في التنشئة الاجتماعية، أنه كما يكون عاملا مشجعا على القيام بالأعمال الحسنة، فإنه قد يكون عاملا معرقلا لتحقيق التنشئة الاجتماعية السوية إذا لم يتم توظيفه توظيفا صحيحا، ومن أجل إبعاد الثواب عن إمكانية أن يصير سببا مضيقا للتنشئة السوية، لا بد من ضبطه بأمرين:

أ- تجنب تعويد الطفل على الربط بين الفعل والثواب، لئلا تتحول الاستجابة المرغوب فيها عند الطفل رهينة بمدى حصوله على الثواب، مما يجعل الثواب يتحول إلى غاية، في حين هو وسيلة لغاية التنشئة السوية، فمن الخطأ مثلا أن يترك الطفل البالغ عشر سنوات فما فوق يربط بين أدائه الصلاة وبين حصوله على الثواب من والديه، وهذا مما يخالف المنهج الإسلامي في التنشئة، ودليله قوله صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين»²⁸.

ب- التنوع في استخدام الثواب بنوعيه المادي والمعنوي، ذلك فإن الاقتصار على المادي فقط يضر بالطفل فيعوده على الطمع والأخذ والتواكل، والاقتصار على الثواب المعنوي فقط قد يضعف في نفس الطفل أخذ المبادرة للقيام بالأعمال الحسنة الناتجة على التنشئة الاجتماعية الصحيحة.

5- أسلوب العقاب؛ إن العقاب يعد أكثر أساليب التنشئة الاجتماعية مثيرة للجدل في المناهج التربوية الغربية، التي انتهت بها الأمر أو كاد أن ينتهي إلى أن العقاب لا دور له في التربية والتعلم، وما له دور هو الأثر الطيب أو الثواب أو الجزاء الحسن، حتى إن "بعض اتجاهات التربية الحديثة تنفر من العقوبة،

²⁵- ابن حنبل أحمد بن محمد: المسند. تحقيق؛ أحمد محمد شاكر. ط/ 1. 1416هـ / 1995م. دار الحديث- القاهرة. رقم؛ 1836. ج/ 2. ص/ 420.

²⁶- الترمذي محمد بن عيسى بن سورة: السنن. حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه؛ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني. اعتنى به؛ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم-باب ما جاء في إنشاد الشعر. رقم؛ 2846. ط/ 1. دون تاريخ. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض. دون تاريخ. ص/ 636.

²⁷- قطب محمد: منهج التربية الإسلامية. ج/ 2. ص/ 138.

²⁸- السجستاني أبو داود: السنن. كتاب الصلاة-باب متى يؤمر الغلام بالصلاة؟. رقم؛ 495. ص/ 902.

وتكره ذكرها على اللسان"²⁹، غير أن هذا الجدل ليس مطروحا في المنهج الإسلامي الذي يقبل العقاب باعتباره أسلوباً من بين أساليب التنشئة الحسنة، ويبيح استعماله بين الحين والآخر، خاصة عندما لا تجدي الوسائل الأخرى نفعا، فيمتنع الطفل عن التوقف عن الفعل القبيح، وتفشل معه مختلف أساليب التنشئة الأخرى. قال ابن سينا: "فينبغي لغنم³⁰ الصبي أن يجنبه مقابح الأخلاق، وينكب عنه معائب العادات، بالترهيب والترغيب والإيناس والإيحاش، وبالإعراض والإقبال، وبالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى ما كان كافياً. فإن احتاج إلى الاستعانة باليد لم يحجم عنه"³¹.

وهذا النص المأخوذ عن الحكيم ابن سينا يدل على أن العقاب في هذا الباب نوعان:
أ- العقاب المعنوي وبه يجب البدء في التنشئة، وله صور كثيرة، منها؛ إظهار عدم الرضى، والعبوس، والهجر، والاستنكار والذم. قال محمد قطب أثناء حديثه عن ضرورة التدرج في استخدام أساليب التنشئة: "... وأن العقوبة الحسية ليست أول ما يلجأ إليه المربي من أنواع العقوبة، بل ينبغي أن يبدأ بالعقوبة المعنوية إلى أن يحتاج إلى العقوبة الحسية"³².

ب- العقاب الحسي ويكون بالضرب، ولا يوجد حوله خلاف بين المربين المسلمين، وسندهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين»³³، وإنما وقع الخلاف بينهم في السن التي يبدأ فيها بمعاقبة الطفل الذي لم يصل العاشرة من عمره، وفي عدد الضربات، وموضع الضرب، وآلة الضرب، وصفته³⁴.

خاتمة:

1- التأطير الوالدي مهمة ليست مكتسبة بالفطرة فقط، ولكنها تدرس كما تدرس بقية المهن الأخرى، أما التنشئة الاجتماعية فهي عملية تعليم وتعلم وتربية، تهدف إلى إكساب الفرد سلوكاً حسناً، ومعايير واتجاهات مناسبة، لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مساهمة جماعته، والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية.

2- التأطير الوالدي للفرد تظهر الحاجة إليه في كونه يعتبر الحوض الاجتماعي الذي تتكون فيه وتنمو بذور شخصيته الإنسانية، ويتحقق له نضجه النفسي، ويوفر له أجواء الهدوء والاستقرار والسكن

²⁹ - قطب محمد: منهج التربية الإسلامية. ج/ 1. ص/ 189.

³⁰ - الغنم - بضم الغين -؛ الفوز بالشيء من غير مشقة. والمقصود به هنا؛ الفائز بالصبي في الغنيمة. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. دار صادر-بيروت. دون الطبعة والتاريخ. ج/ 12. ص/ 445.

³¹ - ابن سينا أبو علي الشيخ الرئيس: السياسة. تحقيق؛ علي محمد إسبر. ط/ 1. 2017م. بدايات للطباعة والنشر-سوريا. ص/ 83.

³² - قطب محمد: منهج التربية الإسلامية. ج/ 2. ص/ 136.

³³ - السجستاني أبو داود: السنن. كتاب الصلاة-باب متى يؤمر الغلام بالصلاة؟. رقم؛ 495. ص/ 902.

³⁴ - يراجع هذا الموضوع في: ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري: المدخل. تحقيق؛ توفيق حمدان. المجلد/ 1. ج/ 2. ط/ 1.

1415هـ/ 1995م. دار الكتب العلمية-بيروت. ص/ 459-460.

كما عبر عن ذلك القرآن، وتوضع فيه أصول التطبيع الاجتماعي، وتحدد فيه بحق الطبيعة الإنسانية للإنسان.

3- التأطير الوالدي للفرد تتحقق آثاره الإيجابية في التنشئة الاجتماعية، بفضل التزامه بجملة من الأساليب التربوية المستمدة من التصور الإسلامي، ومن أهمها: أسلوب القدوة، وأسلوب القصة، وأسلوب التلقين، وأسلوب الثواب، وأسلوب العقاب.

ويمكن أن نستنتج من الدراسة أن:

1- التأطير الوالدي له دور محوري في عملية التنشئة الاجتماعية، وهو دور أكثر أهمية وفاعلية من دور بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي راحت تنافس الدور الوالدي في ذلك. وهذا الدور المحوري للتأطير الوالدي يظهر في كونه أساس تهيئة البيئة النفسية والاجتماعية التي يترعرع فيها الفرد وينمو، وتحدد فيها المعالم الرئيسية لشخصيته.

2- أن نوعية الأساليب التي يتبعها الوالدان في عملية التنشئة تحدد إلى حد ما تلك الصورة التي يكونها الفرد عن نفسه، والتي تنعكس على مدى توافقه مع نفسه ومع غيره من أبناء مجتمعه، فكلما اتبع الوالدان تلك الأساليب التربوية القائمة على إعطاء القدوة الحسنة في مكارم الأخلاق، وعلى التقبل والاهتمام ومراعاة حاجات الأبناء النفسية والاجتماعية، وتعزيز الثقة في نفوسهم، أضحي هؤلاء الأبناء أكثر تقديرا لذواتهم وتقبلا لها، وينعكس ذلك بدوره على مدى توافقهم مع أنفسهم ومع غيرهم.

3- إن الابتعاد عن المنهج التربوي الإسلامي وأساليبه في التنشئة الاجتماعية للفرد، تدفع بالوالدين إلى اعتماد أساليب قد تقوم على الإهمال والنبد والتسلط، مما يجعل الأبناء عرضة لسوء التوافق النفسي والاجتماعي.

ومما ينبغي التأكيد عليه:

1- توعية الآباء في المجتمع الإسلامي بضرورة الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية السوية لأبنائهم على أن تقوم على أساليب تربوية سليمة مستمدة من هدي الإسلام وتوجيهاته، تراعى فيها مقومات الأسرة المسلمة، وخصائص المجتمع الإسلامي.

2- وجوب تفاعل برامج وأنشطة مختلف المؤسسات والمنابر مع موضوع التأطير الوالدي؛ سواء تعلق الأمر بالمساجد أم بوسائل الإعلام أم بالجمعيات، بهدف تدريب الوالدين على مهنة الأبوة والأمومة بالأساليب الصالحة، وتبصيرهما بأهمية ذلك، حتى يتسنى لهما أن يضيفا لروح العطف الطبيعي ما يمكنهما من القيام بواجبهما نحو أعز مخلوق عليهما.

3- إدراج موضوع التأطير الوالدي وأهميته في التنشئة الاجتماعية الناجحة، ضمن المقررات الدراسية في التعليم المدرسي والعالي، وتعميمه في مختلف المعاهد وفي جميع التخصصات.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

- 1- أبو يونس محمد: تربية الأمهات والآباء ضرورة لنجاح تربية الأبناء. جريدة التجديد. العدد/ 24. ربيع الأول 1420هـ/ يوليو 1999م.
- 2- الميسوم بكة: صورة الذات لدى الفتاة في العائلة في ضوء بعض المتغيرات-نوع العائلة، المستوى التعليمي للوالدين- دراسة ميدانية؛ رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الأسري-كلية العلوم الاجتماعية-جامعة وهران، للسنة الجامعية؛ 2015-2016.
- 3- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الصحيح. ط/ 1. 1423هـ/ 2002م. دار ابن كثير-دمشق-بيروت.
- 4- الترمذي محمد بن عيسى بن سورة: السنن. حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه؛ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني. اعتنى به؛ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط/ 1. دون تاريخ. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض. دون تاريخ.
- 5- حسن محمود: الأسرة ومشكلاتها. طبعة؛ 1984م. دار النهضة العربية-بيروت.
- 6- ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري: المدخل. تحقيق؛ توفيق حمدان. المجلد/ 1. ج/ 2. ط/ 1. 1415هـ/ 1995م. دار الكتب العلمية-بيروت.
- 7- ابن حنبل أحمد بن محمد: المسند. تحقيق؛ أحمد محمد شاكر. ط/ 1. 1416هـ/ 1995م. دار الحديث-القاهرة.
- 8- السجستاني أبو داود سليمان بن الأشعث: السنن. حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه؛ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني. اعتنى به؛ أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان. ط/ 2. دون تاريخ. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض.
- 9- ابن سينا أبو علي الشيخ الرئيس: السياسة. تحقيق؛ علي محمد إسبر. ط/ 1. 2017م. بدايات للطباعة والنشر-سوريا.
- 10- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير. تحقيق؛ حمدي عبد المجيد السلفي. ط/ 2. دون تاريخ. مكتبة ابن تيمية-القاهرة.
- 11- الفاسي علال: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. مكتبة الوحدة العربية-الدار البيضاء. دون الطبعة والتاريخ.
- 12- الفاسي علال: النقد الذاتي. ط/ 8. 1429هـ/ 2008م. مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء.
- 13- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. تحقيق؛ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي. ط/ 8. 1426هـ/ 2005م. مؤسسة الرسالة-بيروت.
- 14- قطب محمد: منهج التربية الإسلامية. ط/ 14. 1414هـ/ 1993م. دار الشروق-بيروت.
- 15- مالك بن أنس: الموطأ. تحقيق؛ الدكتور بشار عواد معروف. ط/ 2. 1417هـ/ 1997م. دار الغرب الإسلامي-بيروت.
- 16- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. دار صادر-بيروت. دون الطبعة والتاريخ.
- 17- الناصري محمد المكي: التيسير في أحاديث التفسير. ط/ 1. 1405هـ/ 1985م. دار الغرب الإسلامي-بيروت.